ماذا جرى في كواليس حفل الملائكة؟!

السيّدة حرير عادلي

تحكي لنا روايتها الاستثنائيّة...

ترجمة: حسن شرارة



+ السيّدة عادل؟

- نعم!

+ المعذرة، هل شاركتِ
في لقاء القائد مع السيّدات؟

- نعم

+ كنا نرغب في دعوتكِ إلى لقاء آخر
لكي تتولّي سرد أحداثه.

- نعم؟!!

+ سينعقد لقاء آخر،
ونرغب في أن تشاركي في تصويره
وتدوين رواية له.

- المعذرة، مع من سيكون اللقاء؟

+ حفل تكليفٍ للفتيات، يوم غد

وصلت إلى البيت، لديّ ساعة
من الوقت كي أتجهّز وأذهب
إلى بيت أحد المعارف.
كنت منهمكة بتحضير نفسي
حين رنّ هاتفي
مرّة أخرى من رقم مجهول!

+ سلام، سيّدة عادل،
هل لديك عدسة كاميرا؟
(أفكّر في نفسي، وهل يمكن أن لا يكون
لدى مكتب القائد عدسة كاميرا؟!)

- ليست لديّ عدسة كاميرا احترافيّة،
كانت لديّ كاميرا دي 11 سابقاً
ولا أعرف أين هي الآن...

+ لدينا كاميرا كامبكت وهي جديدة،
ألا تحتاجين إلى الدي اس ال آر؟

- طبعاً من الأفضل أن توفّروه.

+ حسناً، سأنسّق الأمور، ثق!

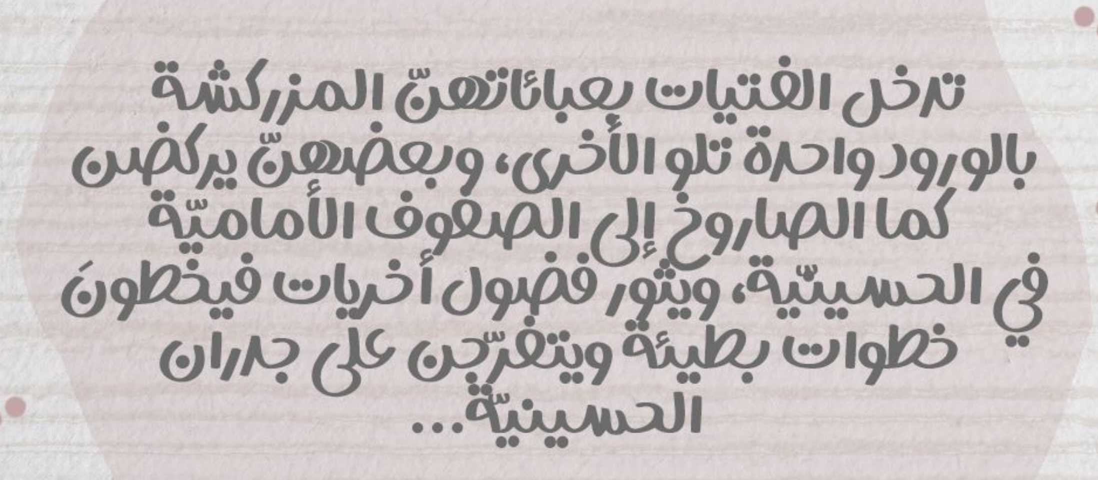


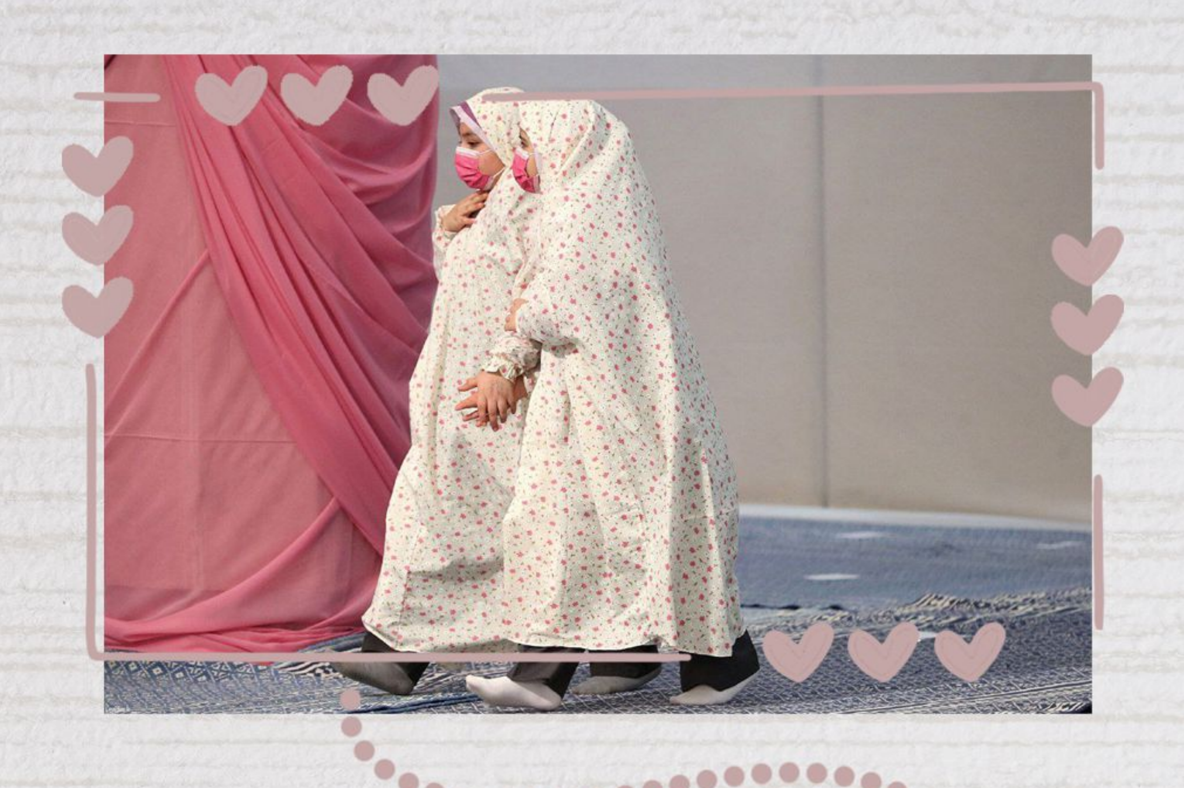
لنختصر الأحداث ونمرّ عليها سريعاً
فنصل إلى هنا، الساعة الثانية والنصف
من بعد ظهر يوم الجمعة
أنا أحمل شريحة ذاكرة للكاميرا فارغة
مع ورقة بيضاء وعدستي كاميرا!
هل تذكرون حين قلت: لقد صوّرتنّ كثيراً،
أين هي صوركنّ إذاً؟!
ها قد حان دوري، لأرى ما سأفعله أنا اليوم!



صمتتْ الحسينيّة سينكسر
في غضون لحظات
مع دخول الفتيات الصغيرات

انقر لمشاهدة الفيديو





أيّ شيء أجمل من هذه الصداقة،
من أجل عبادة الله، وهي تبدأ
منذ اليوم مع حفل التكليف.
بعضهنّ يدخلن برفقة صديقاتهنّ...



وأخريات لوحدهنّ...
جرت استضافتهنّ بأكواب من حليب الكاكاو
والكعكات اللذيذة قبل دخولهنّ،
وأخذت كلّ واحدة منهنّ كمامة زهريّة اللون
وسجادة وحقيبة هديّة،
السجّادة التي تحملها الفتاة في الصورة...



تمتلئ الصفوف الأماميّة للحسينيّة بسرعة.
ومن المحادثات بين السيّدات المسؤولات
عن تنظيم البرنامج، أكتشف أنّ
عدداً من الفتيات في الصفين الأوّل والثاني
هنّ بنات شهداء.



بينما كنت أتمشّى نادتني هذه الفتيات الثلاث:
هل يمكنك التقاط صورة لنا؟
أجهّز عدسة الكاميرا، واحد، إثنان، اضحكن...
ثلاثة!



تنظّم الفتيات رويداً رويداً الصفوف
من أجل إقامة الصلاة،
لكن لا زال هناك ساعة ونصف
حتى يُرفع الأذان، وأنا أتصفّح وجوههنّ البريئة
المخبّئة خلف الكمامات الزهريّة
وعباءاتهنّ المزركشة بالورود



كانت تُدخل خصلات شعر صديقتها
كأخت مشفقة، ثمّ التفتا إلى وجوي ع
ندما ضغطت على زرّ الكاميرات،
أنزلت الكاميرا وسألتهنّ:
ما أسمائكنّ يا فتيات؟



قالت تلك التي على اليمين:
أنا «بهار» وكان اسم التي على اليسار،
«سمانه» قلت لهنّ: أنظرنَ إليّ،
ضغطت سمانه على شفتيها
من شدّة الخجل، وعانقتها بهار



كانت هناك أربعة فتيات ضعيفات البصر
أو فاقدات له من مدرسة نرجس في طهران،
قد جلسنَ في الصفوف الأماميّة. جلستُ بجانبهنّ
فشعرن لشدّة ذكائهنّ بوجودي. قلت لهنّ:
يا فتيات، أرغب في التقاط صورة لكنّ،
وبعد التقاط الصورة سألتهنّ عن أسمائهنّ
ثمّ وضعت الكاميرا على الأرض لأسألهنّ
عن اسم مدرستهنّ، فلمحت إحداهنّ
تلمس بيدها الكاميرا، وضعت يدها على العدسة و
قلت: هذه الكاميرا التي التقطّ بها الصورة لكنّ،
فابتسمت ابتسامة حياء وشكرتني بكلّ أدب.



فاطمة رضائي، فاطمة الزهراء صادقي وآيلار،
فتيات ضعيفات النظر وفاقدات له من مدرسة نرجس،
حتى وإن لم يرين شيئًا بعيونهنّ، فإنهنّ
يسمعنَ الأصوات جيّداً ولا تقلّ فرحتهنّ
عن سائر الفتيات. مع انتهاء الحفل،
سمعت إحدى السيدات تناديني، فقالت:
أنا المشرفة على تلك الفتيات ضعيفات النظر،
لقد جلست بناتي هناك في المقدّمة.
قلت لها نعم، رأيتهنّ وتحدّثت إليهنّ.



كنت أفتّش عن اللقطة التالية عندما قالت
إحدى السيّدات عبر مكبّر الصوت:
يا فتيات، هل وضعتنّ جميعكنّ الكمامات
على وجوهكنّ؟!في نفس تلك اللحظة وضعت
هذه الفتاة المشاكسة الكمامة على عينيها
وضحكت بصوت عال وبانت أسنانها الأرنبيّة.
التقطّ بسرعة صورة لها.



كان اسمها باران، قالت: كان من المقرّر
أن نكون في الصف الثاني لكنهنّ أخذوا مكاننا. قلت لها: لعلّكِ
وصلتِ متأخّرة يا عزيزتي. قالت: لا، لقد كنّا منذ البداية أيضاً،
فسَألتها: من أين أُتيتِ؟! قالت: من «قرجك».
سألتها: كيف تمّ اختياركنّ؟ قالت: اختارت المعلّمة
كلّ من حفظت ١٥ سورة من القرآن في صفّنا.
اكتظّ المكان وتقرّر أن تتمرّن الفتيات على نشيد جماعي.
حين بدأ النشيد لم يكن صوتي يصل إلى أسماع أحد،
وهنا تراجعت إلى آخر الحسينيّة.



أحمل الكاميرا وأجول بها حين تناديني إحداهنّ:
المعذرة يا سيّدتي ؟أجيبها: نعم؟ تقول:
أيّ واحدة من هذه الكاميرات تبثّ بشكلٍ مباشر؟
أجيبها: سوف تُبثّ هذه المشاهد لاحقاً يا عزيزتي،
نحن الآن نقوم بالتقاط المشاهد فقط،
لم أكمل كلامي حين اختفت بسرعة،
أظنّ أنّها كانت تريد أن تلوّح بيدها لوالديها.



انتهى التمرين على النشيد الجماعي
وعاد الهدوء ليعمّ أرجاء الحسينيّة.
كنت أتجوّل بين الفتيات حين نادتني إحداهنّ:
+ معذرة يا سيّدتي، هل يُمكنك التقاط صورة
لي مع العلم؟
- نعم، بالطبع.
كانت قد حصلت على السبحة والعلم
حول أصابعها من مديرة المدرسة.



بمجرّد أن التقطت الصورة لتلك الفتات،
رفعت صديقاتها أعلامهنّ لكي أصورهنّ.
سألتهنّ ما اسم مدرستكنّ؟ فأجبن: مدرسة علوي.
سألتهنّ كم عددكنّ؟ قلن: ١٦ سألتهنّ: هل جئتنّ
عبر القرعة؟ قالت إحداهنّ: لا، اختارت معلّمتنا
من يتحلّين بيننا بالأخلاق القرآنيّة والأكثر مشاركة
في الصف. ثار فضولي الصحفي وسألتهنّ: ما الذي
ستقلنه لصديقاتكنّ حين تعدن؟
قالت إحداهنّ واسمها فاطمة قنبري:
سنقول لهنّ أنّنا ذهبنا نيابة عنكنّ ودعونا لكنّ كثيراً.



كنت أتحدّث مع واحدة من الفتيات
حين نادتني فتاتان من الخلف: سيّدتي ؟!
هل يمكن أن تحجزي مكاننا؟
واختفين قبل أن أجيبهنّ!

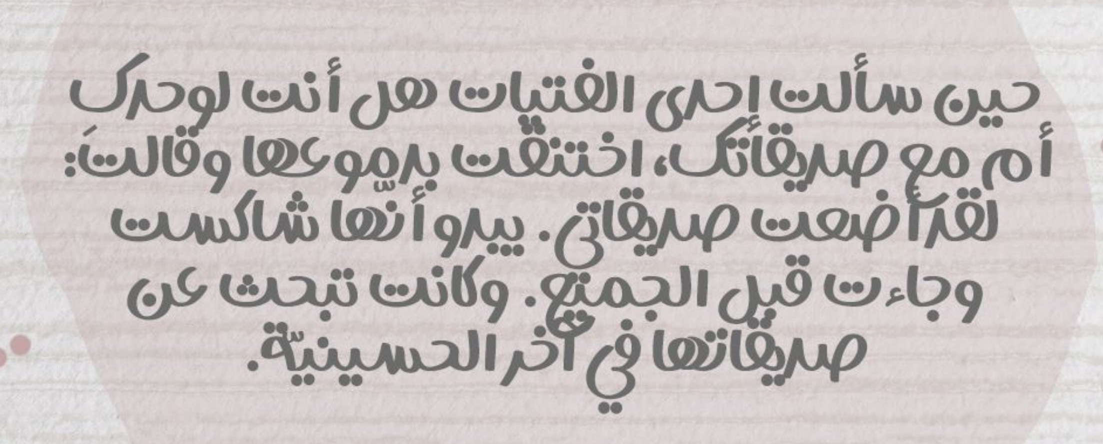


كان الأجواء باردة
عندما كانت الحسينيّة لا تزال فارغة.



وحين احتشدت الفتيات، أصبحت الأجواء
دافئة ووضعن جميعاً معاطفهنّ
في إحدى الزوايا، ساعد الله قلب تلك المعلّمة
التي يضيع معطف إحدى تلامذتها هنا!

انقر لمشاهدة الفيديو





طبعاً، بعضهنّ لم يكنّ خائفات
وكان لديهنّ اكتفاء ذاتي
لدرجة أنهنّ لم يرتأينَ
أن يلتحقن بصفوف
صلاة الجماعة المتصلة ببعضها.



وبعض الفتيات أيضاً كنّ مصداقاً لهذه الجملة:
«أنا هنا وقلبي يحلّق في مكانٍ آخر»



إلى جانب عمود الحسينيّة تجلس فتاة بعباءة سوداء لوحدها، سألتها لماذا ترتدين عباءة سوداء؟ أجابتني بأنّ المدرسة قالت لنا سنقيم لكنّ حفل التكليف في شهر آذار، وأنا لم أشترِ عباءة مزركشة لهذا السبب.



كانت بارميس قد جاءت مع اثنين من صديقاتها،
سألتها: كيف تمّ اختياركنّ؟ أجابتني بارميس
وهي الأولى على يمين الصورة: لقد تمّ اختيارنا بالقرعة،
وأعطونا أيضاً قمطة صفراء وكمامة صفراء أيضاً،
لكن حين جئنا إلى هنا أعطونا كمامات زهريّة.
طبعاً، لم ترتد إحداهنّ قمطتها الصفراء،
وقالت أنّ خصلات شعري تخرج باستمرار،
وكان معها حقّ أيضاً.



كانتا تتهامسان مع بعضهما
بشأن شيء في المقدّمة،
أنظروا كيف تجلس هذه الصغيرة!





نفس الفتاتين السابقتين، حملتا
بعد عدّة دقائق قلب حبر.
إحداهما تقول الشعار للأخرى
وتلك تكتبه على يدها،
هكذا يكون تقسيم الأدوار!



طبعاً لا بدّ أن أقول أيضاً:
لم تكتب جميع الفتيات الشعارات
على أيديهنّ، يبدو أنّ بعضهنّ
كتبن أرقام مكان أحذيتهنّ.

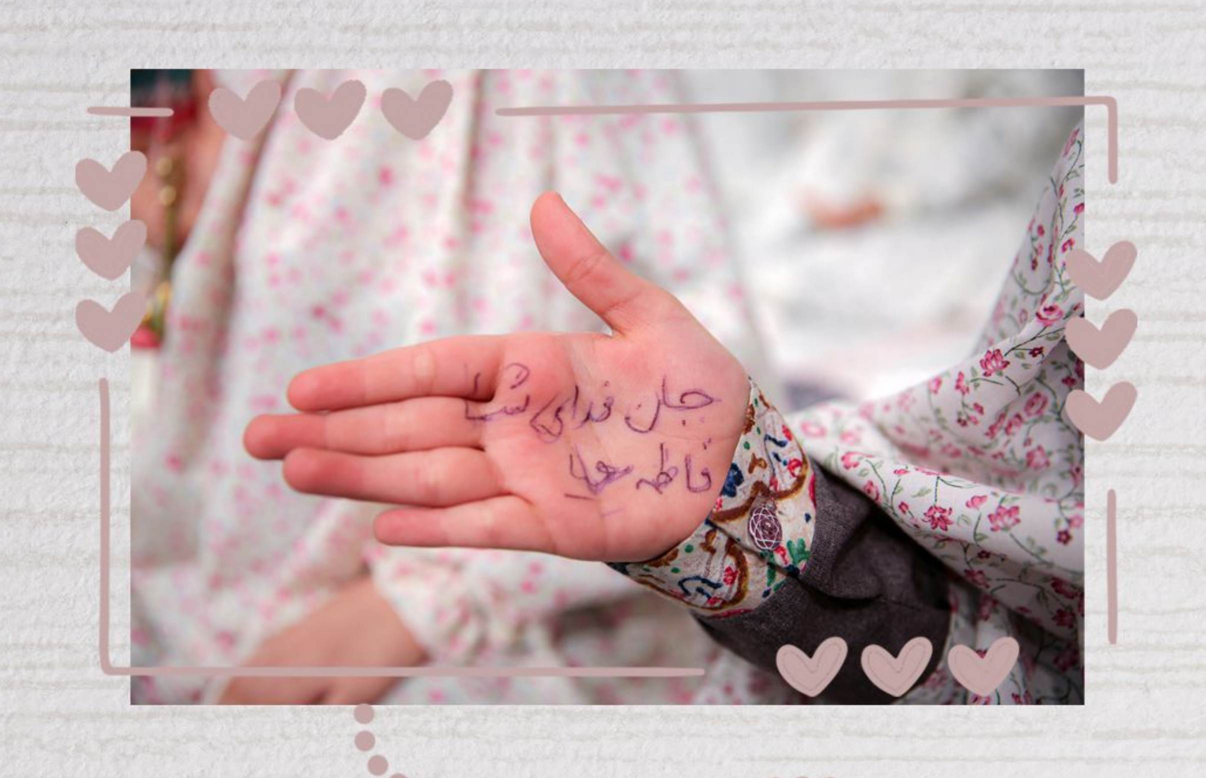


+ سيّدتي
هل يمكن أن تكتبي لي شيئًا
بقلم الحبر الخاصّ بك؟

كتبت لها «يا زهراء»



جاءتني فتاة أخرى، وهي أيضاً طلبت
أن أكتب لها فأكتب لها أيضاً «يا زهراء».
أيدي الفتيات ناعمة جدّاً
ولا يطاوعني قلبي أن أضغط عليها كثيراً.



شعار يد هذه الفتاة باهت،
تطلب مني أن ألوّنه لها،
كما إنّها كتبت اسمها تحت الشعار:

روحي فداك
فاطمة محيا



الشعارات على أيديهنّ المتعرّقة تفقد لونها.



زارت الطلبات، فأعطيتهنّ قلم الحبر
لكي يتشاورن ويكتبن الشعارات لبعضهنّ.



أقول لإحدى الفتيات وهي لوحدها:
ما الذي ستقولينه لصديقاتك في المدرسة
حين تعودين؟ تجيبني: لا شيء.
أسألها: لماذا؟تجيبني: أخشى أن تحترق
قلوبهنّ لأنهنّ لم يأتين معي.
كان قلبها رحباً جدّاً.



من اليمين: نازنين فاطمة، إسراء ومحدثة،
وهنّ صديقات في صفٍّ واحد.
+ يا فتيات، هل جئتنّ مع معلّمتكن؟
-أجبن معاً: لا!!!
+كيف جئتنّ إذاً؟
-تقول إسراء: مع مربّيتنا.
+ وهل هناك فرق بين المعلّمة والمربّية؟
تجيب إسراء: نعم، المعلّمة تدرّسنا فقط
لكنّ المربّية تعلّمنا أشياء أخرى أيضاً!
أدركت الفرق تماماً مع توضيحها هذا.
فلتلتفتن يا أيتها المعلّمات العزيزات
ولتعلّمن الأطفال أشياء أخرى إضافة إلى دروسهم!



الحضور في الحسينية بات مكتملاً تقريباً.
اقترب موعد اللقاء مع سماحة القائد!

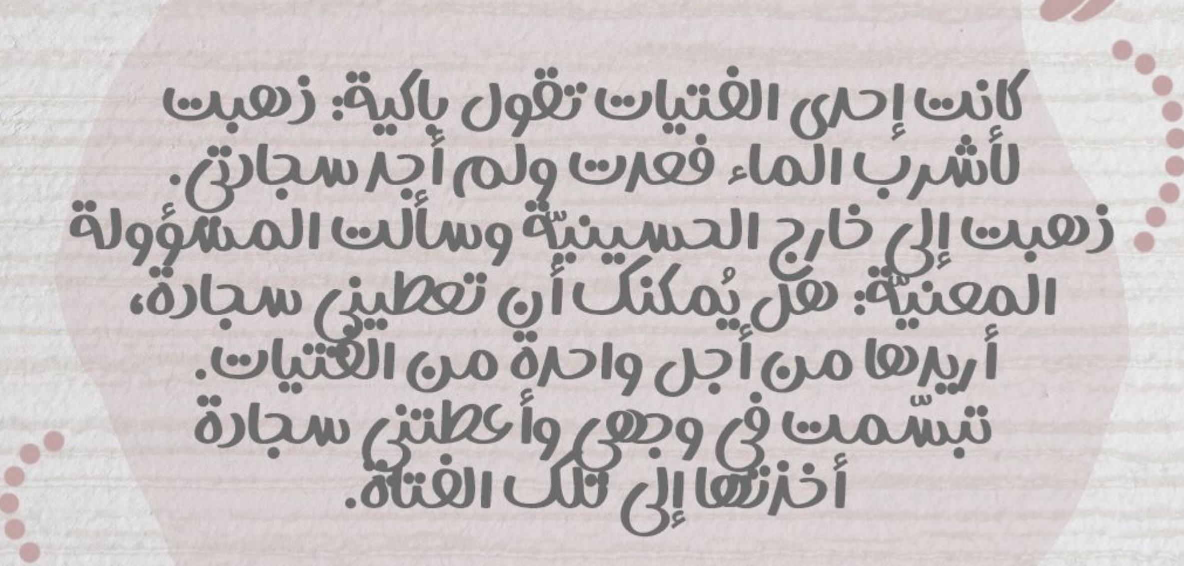


نحن على مشارف رفع الأذان،
والفتيات يرفعن أيديهنّ بالدعاء



وبعضهنّ صنعن قلوباً بأيديهنّ بدل الدعاء.

انقر لمشاهدة الفيديو





عيونهنّ المترقّبة والمتحمّسة مسمّرة
على هذه السجّادة التي سيقف عليها
الإمام الخامنئي لإقامة الصلاة.



وجدت إحدى الفتيات في زاوية من زوايا
الحسينية تكتب بسرعة رسالة إلى القائد!
اسمها: محيا جنيدي



يدخل القائد فتنفجر الحسينيّة بأصوات الصراخ
والتصفيق والـ«هورا»! كانت بعض الفتيات تقفزن
إلى الأعلى لشدّة حماستهن! وأنا كنت واقفة في
آخر الحسينيّة، وفضّلت هنا أن أكتفي بالاستمتاع
بمشاهد شغف الفتيات ومشاعرهنّ الجياشة،
دون أن ألتقط أيّ صورة... لقد كانت هذه اللحظة
من اللحظات المفصليّة في اللقاء.



لا تحدّ أيّ حدود الفتيات في إبرازهنّ مشاعرهنّ، فهنّ يصرخن بأعلى أصواتهنّ ويُشرن بأيديهنّ إلى القائد ويصفّقن من شدّة حماستهنّ و... تضحك الكبار من السيّدات المتواجدات في الحسينيّة أمام هذا المشهد دون إرادة، لقد عدنا نحن السيّدات الراشدات إلى فطرتنا الطفوليّة النقيّة إلى جانب هؤلاء الملائكة!



ومن زاوية الحسينيّة تهتف بعض الفتيات بشعار دون أن تطلب منهنّ المعلّمة ذلك.
ماذا كان الشعار؟
كلّ هذا الجيش توافد إلى هنا محبّة بالقائد
يهتفن بقبضاتهنّ الصلبة، والوريّة!



نستعدّ رويداً رويداً لإقامة الصلاة.
يرفع صبيٌّ صغير الأذان.
بعد الأذان سأله القائد: ما اسمك؟
فأجاب: محمّد أمين!
يقول له القائد أحسنت، ثمّ يشرع في الإقامة.



بعض الفتيات اللواتي تأخّرن في الوصول
إلى الحفل، لم يحصلنَ على سجّادة
وجلسن في آخر الحسينيّة...



قامت كلّ الفتيات، وإحداهنّ كانت
لا تزال غارقة في أفكارها.



بعد الصلاة، كانت الفتيات يمسكن أيدي بعضهنّ بإحكام ويقلن: تقبّل الله. يا له من عرفٍ رائع لدى المسلمين!



كنت قد جلستُ للتوّ حين بدأت الفتيات أمامي بإطلاق الشعارات فالتفت القائد إلى هذه الجهة من الحسينيّة حيث عدسة الكاميرا الخاصّة بي وابتسم، وأنا التقطتُ على الفور صورة هذه الابتسامة، شكراً يا فتيات!



لم أستطع التعرّف على مصدر الصوت،
لكن يبدو أنّ هذه الصورة توحي
بنفس ذاك المشهد.



أثناء الكلمة ذهبت إلى الصفوف الخلفيّة في الحسينيّة،
فرأيت واحدة من الفتيات تبكي في حضن
معلّمتها، واسمها كوثر، جلست إلى جانبها وسألتها
لماذا تبكين يا عزيزتي؟أجابتني كوثر بصوت متقطّع:
أنا لا أستطيع أن أرى القائد من هنا!كانت زجاجتي نظارتها
ضبابيتين من شدّة البكاء. قلت لها: عزيزتي، حتى لو جلست
في الصفوف الأماميّة، ما كنت ستستطيعينرؤية القائد
لأنّ زجاجتي نظارتك اتسختا. ضحكت وسط بكائها، قلت لها،
فلتنظّفي نظارتك الآن لأريك الصورة الجميلة
التي التقطها الآن للقائد. نفعتني هنا صورة ابتسامة القائد



هذه كوثر بنظارة نظيفة وابتسامة ساحرة...



على بُعد خطوات وفي آخر الحسينيّة أيضاً، التقيت ريحانة سادات
التي جاءت من قمّ ولم تخلع معطفها، اقتربت مني وقالت:
سيّدتي! ثمّ انسكبت دموعها كالمطر. سألتها: ماذا حدث يا عزيزتي؟
قالت: لقد جلبتُ معي هديّة وشعراً للقائد لكن لم أتمكّن من إدخالها
قلت لها: عزيزتي، وأنا أيضاً لم أستطع إدخال أيّ شيء!
قالت: لكنّي كنت أرغب في قراءة شعري على مسامع القائد.
قلت لها: حسناً اقرأيه لي لأدوّنه هنا. مسحت دموعها
ونظرت إليّ بشكل جدّي، هل بإمكانك أن تعطيني رقمكِ
لكي أرسل لكِ صورة الشعر والهديّة؟ قلت لها: طبعاً،
أعطني كفّ يدكِ! كتبت رقمي على كفّ يدها بقلم
حبر أسود وتقرّر أن ترسل لي الشعر. قلت لها:
ريحانة سادات، امسحي دموعكِ
لألتقط لكِ صورة تذكاريّة مع صديقتكِ...



بالمناسبة! كان هناك ملائكةٌ من ذوي الهمم
جلسن في المقدّمة على كراسٍ خاصّة بهنّ.



بعد انتهاء الكلمة، أقيمت الصلاة الثانية أيضاً،
وبعد التشهد الأوّل للصلاة، نهضت واحدة
من الفتيات وبقيت متردّدة للحظات
ثمّ أتت إلى صوب الكاميرا باضطراب شديد.
كان واضحاً من حالة يديها كم هي قلقة.
التقطت هذه الصورة قبل أن تقرّر القدوم نحوي.



حين وصلت كانت تذرف دموعها.
قالت: سيّدتي. أجبتها: ماذا حدث؟!
سألتني: هل صلاتي مقبولة؟ لقد جئت من ورامين،
يتوجّب عليّ أن أصلي ركعتين؟ قلت لها:
نعم يا عزيزتي لا تقلقي؛ صحيحة مئة بالمئة،
ما اسمك؟ قالت: ريحانة! قلت لها: عزيزتي
ريحانة، امسحي دموعك وعودي فوراً إلى الصف..
ثمّ عاودت سؤالها: هل صلاتي صحيحة حقاً؟
قلت لها: نعم، لا تشكّي أبداً.
التقطت لها صورة عندما مسحت دموعها...



التقطت بضعة صور قبل أداء تسليم
الصلاة الأخيرة لسجادات الفتيات.



لم تكن هناك سجادات داخل السجادات،
وتمّ توزيع السجادات قبل الصلاة.
سألتني واحدة من الفتيات أثناء توزيع السجادات
وازدحام الجميع:
سيّدتي، كم عدد الفتيات اللواتي هنا؟
(قالتها بلحن يوحي بأنها ليست فتاة بل سيّدة)
قلت لها: أعتقد أنهن ألف فتاة!



مع انتهاء صلاة العشاء، انشغل سماحة القائد
بأداء النوافل وكانت بعض الفتيات يراقبنه
بمنتهى الدقة، مثل هذه الفتاة
التي لم تزح نظرها عن عمامته.



مع انتهاء النوافل، تقدّمت الفتيات
رويداً رويداً وبدأن يهمسن في أذن القائد.



ضاقت حلقة الحصار والتقطت هذه الصورة بينما
كان أمامي صف كامل من المصوّرين وأجبرت
على تقدير كادر الصورة دون أن أنظر إلى الشاشة.
تبكي إحدى الفتيات دون أن أعرف السبب،
لكنّي أتوقع أنّها كانت تحاول إفراغ مشاعرها
فتحوّلت إلى بكاء، شأنها شأن سائر الفتيات
اللواتي كنّ في الحسينيّة...



كانت الحلقة حول القائد تضيق مع انقضاء اللحظات، كما إنّ عدد الفتيات اللواتي كنّ يرغبن في التقدّم كان في ازدياد. عدت إلى الوراء وحاولت استطلاع الأوضاع من شاشة الكاميرا التي بيدي.



أخيراً، نهض سماحة القائد، لكنّه بقيَ
يلوّح للفتيات في الصفوف الخلفيّة.
ليست لديّ صورة أفضل من هذه
كي تعبّر عن لحظة وداع الفتيات
مع والدهم المعنويّ!


خرج القائد من الباب، لكن يكفي
أن تكون الكاميرا بيدك لكي تطلب
منك إحدى الفتيات التقاط
صورة لها بعد تكليفها.



بعد لحظات خفّ ازدحام الحسينيّة
وبدّلت الفتيات عباءات الصلاة بثيابهنّ.



كان من المقرّر أن تخرج الفتيات
كلّ مجموعة على حدة كي يخفّ الازدحام
ولا تضيّع أيّ منهنّ أغراضها.
كانت فكرة جيّدة!



التقطت بعض الفتيات صورة جماعيّة
داخل الحسينيّة ووضعن معاطفهنّ جانباً
لتتناسق أزياؤهنّ ويحظين بصورة مرتّبة!



جاء أحد السادة وقال للفتيات:
يا بنات، هيّا تعالينَ وخذنَ هداياكن!
هديّة مرّة أخرى ؟! هنيئًا لهنّ.
ركضت الفتيات نحو بوّابة الخروج.



والآن، باتت الحسينيّة فارغة بالكامل.


وامتلأت ورقتي بأسماء الفتيات
وأسماء مدارسهنّ وذكرياتهنّ في بيت القائد.



كانت هدايا الفتيات بعد انتهاء الحفل عبارة عن علبة فيها: دمية ووردة و...
كان واضحا من وجوههنّ كم استمتعن في هذه الليلة!

بناتي العزيزات، قمّة البراءة!
حفظكنّ الله للإسلام ولإيران!